رحلة تجديد إجازة سياقة

مواطن يرفض إعتماد أساليب الغش والفساد

صادق خضر

بغداد

معاناة المواطن الشريف في مراجعة دوائر الدولة في العراق تتجسد بصور صارخة في تلك الدوائر التي يفترض أنها (خدمية) وتمس حياة الناس مباشرة،وذلك في ظل الاجراءات الروتينية المعقدة وانتشار الفساد في كل المفاصل دون معالجات حقيقية من قبل المسؤولين الذين لا يقدرون كرامة الانسان ولا يشعرون بمعاناته ومتاعبه،وهناك قائمة طويلة معلنة من قبل الحكومة تضم أربعين ظاهرة للفساد تعشعش في زوايا إدارية مظلمة لم يجتاحها الضوء حتى اليوم! من بين تلك الدوائر سوف نختار قصة معاملة يفترض أن تكون سهلة وسريعة وخالية من التعقيد والفساد وهي إصدار أو تجديد إجازة السوق التي تسمح للمواطن بقيادة عجلة في الشارع بطريقة قانونية وأمينة، مثلما يجري في مدن العالم المتحضر!

قانون قسوة جديد!

في العراق يعاني النظام المروري من أنهيار مريع منذ سنوات،بسبب تهالك الطرق وعدم انشاء جسور وأنفاق جديدة وغياب التقنيات الحديثة،واعتماد النظام المروي بكامله على وقوف شرطي المرور وسط التقاطعات والطرقات واعتماد وسائل بدائية في تنظيم سير المركبات وعدم وجود تعاون من قبل المواطن في ظل ضعف تطبيق القانون!

لا يوجد بالطبع حل سحري لهذه الفوضى السائدة،وقد أصدر مجلس النواب العراقي قانوناً جديداً للمرور وأصبح نافذاً اعتباراً من يوم6\10\2019 ومن أبرز سمات هذا القانون القسوة في العقوبات والمبالغة في الغرامات المفروضة على المواطن ومعاقبته وتحميله وحده ثمن الانهيار المروري،رغم النقص الفادح في مستلزمات الطريق الآمن التي يفترض أن تكون في مقدمة الخدمات التي توفرها الدولة لحفظ الأرواح والممتلكات وتنظيم الحياة! تحت طائلة القانون الجديد وقسوته وقبيل موعد تطبيقه، هبت حشود من المواطنين لمراجعة دوائر المرور التابعة لوزارة الداخلية من أجل إصدار أو تجديد وثيقة تسجيل السيارة(السنوية) وإجازة السياقة،وقد أعلنت مديرية المرور عن افتتاح مقرات عديدة لاستقبال المواطنين وإصدار الوثائق المرورية خلال مدة قصيرة،كما تزعم الحملة الاعلامية التي رافقت تلك العملية،وسوف أروي قصة رحلتي الشخصية لتجديد إجازة السياقة عبر مقر المرور في منطقة الرستمية في بغداد في جانب الرصافة، والتي ابتدأت من يوم الثالث والعشرين من أيلول(سبتمبر) الماضي وانتهت في السابع من تشرين الأول(أكتوبر) الحالي،وهي رحلة مؤلمة لأكثر من أسبوعين، قد لا تسر القاريء وربما تثير غضبه،أضعها أمام الجهات الرسمية المعنية وبخاصة وزير الداخلية ومدير المرور العام ومجلس مكافحة الفساد،لعلهم يسمعون صوت المواطن بدون حواجز،ويعملون وفق أمانة المسؤولية وشرفها على معالجة الظواهر السلبية التي ترهق المواطن وتزعجه وقد تدفعه للتذمر والاحتجاج!

ثلاثة مظاهر للفساد

لا يفوتني أن أؤكد قبل سرد القصة أنني كنت أستطيع تجديد إجازة السياقة بسهولة من خلال الواسطة أو الرشوة،وهما وسيلتان متوفرتان،ولكني وجدت الكثيرين مثلي يرفضون ركوب الباطل،ويراهنون على بقايا ضمير عند من يعنيهم الأمر،ويمكنني أختصار هذه الرحلة القاسية في ثلاثة مظاهر:

1- الاجراءات الإدارية الروتينية الورقية المعقدة وتعدد التواقيع والأشخاص والأماكن والحلقات الزائدة.

2- ارتفاع كلفة إصدار أو تجديد إجازة السياقة حيث تتراوح بين خمسين إلى مائة ألف دينار.

3- الإهانة والتأخير التي يتلقاها المواطن في كل خطوة بين (الكرفانات) التي يصعب وصفها بانها دائرة حكومية وتفتقر لأبسط وسائل الاستقبال والتنظيم والراحة،سواء للمواطنين أم الموظفين!

وسوف أشرح بالتفصيل تلك المظاهر.

حضرت إلى موقع الرستمية جنوب شرق بغداد،فصدمني منظر(الكرفانات) المتناثرة بطريقة عشوائية وسط ساحة مترية،وفوضى عارمة في دخول السيارات الى ساحة ترابية مجاورة تسمى(كراج) يقف عند بوابته مجموعة من الصبية الذين يفرضون على السيارات الداخلة مبلغاً مقداره ثلاثة آلاف دينار، في كل مرة،وبسبب اضطرار المواطن للمراجعة أياماً عديدة،فإن دخول(الكراج الوهمي) قد يكلف حوالي خمسة عشر ألف أو أكثر، وهذه الكراجات المزعومة إحدى بوابات الفساد الواضحة للعيان لمن يريد أن يشاهد الفساد عارياً أمامه دون رداء في أغلب وزارات و دوائر الدولة وليس دوائر المرور والجوازات والجنسية فقط!..قطع أراض متروكة أو أرصفة خربة أو أزقة ضيقة تشهد ابتزازاً وتسليباً علنياً للمواطن الذي يحتار في العثور على مكان منظم لإيقاف سيارته!

الفساد في الواجهة

عند مدخل مجمع الرستمية (الكرفانات) تنتصب أكشاك لمكاتب الاستنساخ والعرضحالجية والمعقبين،وهؤلاء يستقبلون المراجع بزفة عجيبة من الترحيب،ويعرضون خدماتهم الخاصة مقابل ثمن، حسب نوع المعاملة،وبطريقة علنية، وعلى مسمع ومرأى ضباط المرور،ولا بد أن تبدأ المعاملة عند تلك المكاتب بشراء ملف(فايل) أصفر واستنساخ المستمسكات الأربعة،بمبلغ خمسة آلاف دينار(الكلفة الحقيقية لا تزيد عن ألف دينار!)،ثم تجري عملية المساومة على تسهيلات خاصة، وقد عرض علي أحد المعقبين في تلك المكاتب تجديد إجازة السوق مقابل مائة ألف دينار فضلاً عن الرسوم الرسمية للاستمارة وغرامة التأخير وفحص البصر التي يكون مجموعها مائة ألف أخرى فيكون مجموع مبلغ الصفقة المطلوب (200) مائتي ألف دينار فقط،ووعدني ذلك المعقب باستلام الإجازة،في غضون يومين، دون أن أضع قدمي في داخل تلك الدائرة،وأختصر رحلة البهذلة والمعاناة! هنا تبرز ظاهرة ثانية صارخة لا تحتاج إلى شهود، أو مفتشين وهي موجودة في بوابة كل دائرة حكومية(العرضحالجية والمعقبون) وهؤلاء هم المفسدون الذين يستغلون المواطن ويبتزونه ويشاركون الموظف الفاسد الغنائم القذرة،بلا خوف من القانون، فهناك من يحميهم دون شك!..فهل يعلم مجلس مكافحة الفساد؟! حدثتني نفسي الأمارة بالموافقة لكنني صحوت فجاة ورفضت، وخطفت الملف من يد المعقب ودخلت متوغلاً تائهاً بين الكرفانات المتناثرة مثل معسكر في جبهة الحرب حتى عثرت على شباك في أحدها،يقف أمامه صف طويل من المواطنين،وهناك موظف يقبض من المراجع مبلغ عشرة آلاف دينار ويمنحه الاستمارة التي تمثل محور المعاملة كلها! بعد ختم وتوقيع الاستمارة من قبل العقيد مدير الموقع أو من ينوب عنه،تنطلق رحلة أخرى نحو فحص البصر، في إحدى العيادات الصحية الشعبية، وقد اخترت الذهاب إلى عيادة بغداد الجديدة في عصر اليوم نفسه،وهناك وجدت مشهداً آخر من المعاناة لا يوصف بسبب الزحام الشديد،وهو مظهر متكرر لفوضى الكراجات ومكاتب الاستنساخ والمعقبين، وستكون أمام خيارين،فأما أن تدفع للمعقب خمسة وثلاثين ألفاً وتجري الفحص بدون تأخير ولا تقف في الطابور، أو ترفض الرشوة وتكون شريفاً وتقف في طابور طويل،ساعات عدة، أو تدفع خمسة وعشرين ألفاً لعملية فحص بصر وهمية، حيث لم يقم أي طبيب أو مساعد طبي بإجراء فحص حقيقي لنحو ألف مراجع كنت أحدهم في ذلك اليوم،وهذه مفسدة واضحة يضاف إليها مبلغ الفحص نفسه (25 ألف) في حين أن فحص البصر الاعتيادي في أي مستشفى أو عيادة خاصة لا يكلف أكثر من خمسة آلاف فقط، أي أن مبلغ الفحص الوهمي المروري يساوي خمسة أضعاف مبلغ الفحص الحقيقي..وكل مواطن يشهد على ذلك ويقبل خاضعاً مضطراً ذليلاً!

فحص طبي زائف

ترسل نتيجة الفحص الطبي البصري الزائف بالبريد خشية التزوير(هههههه) وينبغي الانتظار أكثر من ثلاثة أيام لوصول نتيجة الفحص لموقع المرور،وعندما راجعت بعد تلك المدة أحد الكرفانات في موقع الرستمية وجدت استمارة الفحص الطبي وضممتها إلى الملف،ثم وقفت في طابور أمام كرفان آخر لغرض دفع مبلغ مقداره عشرة آلاف دينار يضاف إليه مبلغ غرامة مقداره ألفي دينار عن كل عام تأخير، فقد تعين علي دفع غرامة مقدارها أربعين ألفاً،فدفعت خمسين ألفاً كاملة، وقد أصبح مجموع المبلغ المدفوع حتى الآن بدون أي رشوة كما يأتي(5 آلاف ملف واستنساخ+10 آلاف استمارة+ 25ألف فحص طبي+ 10آلاف استمارة+40 ألفاً غرامة+ 15ألف كراجات= 105 مائة وخمسة آلاف المجموع)!! بعد توقيع المعاملة وختمها من قبل ضابط التدقيق،جاءت الخطوة الحاسمة ما قبل الأخيرة وهي(التصوير)،فهنا أمام كرفان يقف طابور خرافي للدخول والجلوس أمام موظفين يستخدمون جهاز كومبيوتر وكاميرا لتصوير الوجه والمستمسكات الورقية تمهيداً لإصدار الإجازة، وقد كان رقم تسلسلي كما أشره مساعد المدير وختمه يقرب من أربعمائة،وبعد انتظار طويل عند بوابة ذلك الكرفان انتهى الدوام دون أن يدركني التصوير،وكان يوم خميس،فتأجلت عملية التصوير إلى يوم السبت، ذهبت مبكراً وبعد نحو ساعتين من الوقوف في الطابور الترابي دخلت إلى مكان التصوير وخرجت فرحاً فلم يبق سوى الطبع ومن ثم الاستلام،بعد نحو أسبوع فقط! كنت أتخيل أن الاستلام سيكون سهلاً سريعاً،وتنتهي هذه الرحلة المثيرة،فحضرت إلى كرفان الاستلام مبكراً متفائلاً، لكنني ذهلت لهول ما رأيت من فوضى في قراءة الأسماء من قبل عدد من الضباط والموظفين،وكان هناك حشد من المراجعين يتزاحمون ويتصايحون ويتدافعون، وبعضهم يجلسون على كراسي مطاطية قذرة متفرجين على هذا المشهد السوريالي، وعندما أعلن إسمي بعد نحو ساعتين، كدت أسقط مغشياً من شدة الفرح والألم في آن معاً! تسلمت إجازتي بيميني وخرجت مسرعاً من مجمع الكرفانات نحو مكاتب الاستنساخ ثم إلى ساحة الكراج الترابية،وكانت تلك مدة أسبوعين كاملين في حين أن الإعلانات الرسمية تقول أن إصدار الإجازة خلال ساعتين! هذه القصة ليست موجهة إلى المواطن لكي يقرأها لتمضية الوقت، ولكنها تجربة أضعها أمام المسؤول الشريف لعل ضميره يتحرك فيقول..تباً للفساد وكفى قهراً للمواطن المظلوم في بلد الخيرات والثروات والكفاءات والحروب والنكبات!!

واجب: رجال المرور يؤدون واجباتهم

الازدحام على شبابيك المراجعة في دوائر المرور

الشريحة المنسية

تفرز الظواهر الاجتماعية مستجدات لم يهتد اليها العقل والمختص ، ومن بين هذه الظواهر التظاهرات ، التي في الأصل أنهاَ ظاهرة اجتماعية دستورية تعبر عن الاعتراض الشعبي على ظواهر تخالف القانون أو الدستور أو تعبر عن حاجة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية لم تلتفت اليها السلطة أو تنبهت اليها وتجاهلتها. وبالتالي ليس في التظاهر إشكال يقينا ، وليس في بعض مظاهر العنف التي تخالط التظاهر أشكال أيضا بلحاظ اجواء الحماس والشعارات التي قد تُرفع وربما تتجاوز المسموح لا عن قصد ولكن تماشيا مع الظرف السائد ، وأحيانا نتيجة عدم معرفة المتظاهر والحامي حدوده ، لكن أن يسيل دم وتزهق روح خرجت من أجل الحياة ففي ذلك الإشكال كله ، فالمتظاهر لم يخرج يقينا بطرا أو راغباً بالتعب والعناء ، ولم يفترش الأرض ويلتحف السماء ويتوقع الصدام والاعتقال والملاحقة عابثاً، لكنه خرج من أجل إسماع صوته وإيصال مطلبه ، ويقينا أن التظاهر يسلط الضوء ، ويوضح الغامض ، ويقرب البعيد ، ويحقق غالبا ما غفلت أو تغافلت عنه السلطة ، وكثيرا ما يكشف خفايا لم يلتفت إليها أحد ، بل لم يكن التظاهر من أجلها ، من ذلك ما كشفت عنه التظاهرات العراقية القائمة ، فبعد لقاءات عدة جمعتني بفئات شعبية متنوعة متنورة كلها طاقة وطنية ، التقيت مصادفة بفئة لم يجل في خاطري في يوم من الأيام حجم الظلامة الواقعة عليها ، ربما لأنها لم ترفع صوتها مطالبة بما سلب من حقوقها ، أو لأن أحد منها لم يُمكّن كي يُسمع صوتها ، أو لأنها وقفت راضية بما هي فيه متجنبة الإشكال والتظاهر والاحتجاج ، فأضحت شريحة منسية ، أنها شريحة أصحاب البشرة السمراء ، التي تجاوز عددهم في العراق حسب ما أعلموني المليوني نسمة ، ويقيناً أن هذا الرقم الكثير سيثير استغراب من سيطلع كما أثار استغرابي !!! وفي مقاربة بسيطة طرحها أحد ممثلي هذه الشريحة أن أحدا منهم لم يتولى منصب مدير عام ، ويقيناً أن من لم يولَ الأدنى لا يولى الأعلى ، فليس من بينهم وكيل وزارة ولا وزير ولا رئيس هيئة ولا قائداً في الجيش أو الأجهزة الأمنية ، وليس لهم ممثل في مجالس المحافظات ولا في مجلس النواب ،فهل من المنطق نسيان هذه الشريحة وإهمالها ؟وكيف لشريحة بحجم هذه الفئة أن يتولي وطن يُحملها الغرم ويتجاهلها في الغنم ؟ وهي واقعا كلها ولاء ووطنية ونبض في حمل هم الوطن ، وهو ما يدعوني للانحناء أمامها احتراما واكبارا ، فمثل هذه الفئة تستحق كل التقدير فقد حُرمت من كل أبجديات المواطنة ومستلزمات الولاء ، وهي توالي وتقف وتدافع وتذود ، ويقيناً أن في الحيف إشكال شديد لكن الإشكال الأكبر في استمرار الحيف بعد جلاء الصورة واستبيان الحقيقة ، وربما في الإنصاف المتأخر تضميد لبعض الجراح ، لكن أن لا تنصف هذه الفئة بعد بيان ظلامتها ففي ذلك تعميق للجراح بل تقريح لها . لقد وقف أفراد هذه الفئة دائما إلى جانب الوطن في شدته ولم يقف الوطن إلى جانبها في رخائه وديمقراطيته ، وإذا كان الزائل الراحل عمل على إهمال هذه المجموعات ولم ينصفها كما اهمل الغالب من ابناء الوطن ، فعلى القادم الجديد تضميد جراحاتها وتعويضها عما فات وعما لحق بها من حيف وظلم وظلامة ، بلحاظ ما تعرض له رجالات العهد الجديد من ظلم وملاحقة وخوف وتهديد وتهجير ، فمن ظُلم لا يظلم ، ومن أُهمل لا يهمل ومن قُهر لا يقهر ، ذهبت الشمولية وجاءت الديمقراطية التي انتظر قدومها المظلوم طويلا ، فليس من بأس في ظلامة الديكتاتور لكن الظلامة كلها في قهر واهمال النظام الديمقراطي ، ففي إهمال فئة قليلة ظلم فما بالك باهمال شريحة كبيرة ناضلت وقاتلت وقدمت وضحت وشغلت ولما تزل نسبة من الشعب لا يستهان بها . وبعد كشف الستار عن المخفي آن الأوان لإنصاف هذه الفئة الهشة وتمكينها من أجل اداء المنتظر منها والمرجو فيها ، فبين أفراد هذه الشريحة الأستاذ والطبيب والمهندس والمدرس والفني والخبير ، وفي الدولة مناصب وأماكن لم تشغل وحاجات لم تسد ، وإن لم يكن فيها فلابد أن يكون فيها ، فظلم كبير أن يظلم أبن الوطن لا لشيء الا للون بشرته ، وخفوت صوته ، وسلميته أداته وقبوله بالقليل وتحاشيه الضجة ، ووقوفه في صفوف المترقبين بانتظار من ينصفه ، ونعتقد أن أولى خطوات الإنصاف تعديل قانون انتخاب مجالس المحافظات على نحو يخصص نسبة من المقاعد لشريحة البشرة السمراء باعتبارهم أقلية عددية ، وإسناد بعض المناصب القيادية لهم وحسب الحاجة والكفاءة والقدرة ، ثم الانتقال للقانون المنظم لانتخاب المجلس النيابي للنظر لافراد هذه الشريحة ومساواتها بغيرها ممن شملهم نظام الكوتا ، فإنصاف المظلوم حق وفضيلة ، فالبلاد لا تبتنى الا بابنائها ، وتهيأت مستلزمات الولاء أولى خطوات البناء ، فالبلاد قد تعتمد الأجنبي في البناء المادي والإعمار ،لكن الولاء يبقى لابن الوطن وهو من يفتدي ويدافع ويدفع وقد يستشهد من أجل الذود ودفع الخطر والعدوان ، ويقينا أن واجب الوطن اليوم والقائم على أمره ترميم ما تصدع من شعور المواطنة بفعل سياسات الراحل وهو دليل الوطنية وسند الديمقراطية ،فالديمقراطية مظاهر وممارسات ومستلزمات أن تهيأت كان النظام ديمقراطي وإن غابت اضحى النظام شموليا مستبدا ، فسارعوا لإنصاف المظلوم وتعويض المضطهد وتمكين المقهور من أجل بناء وطن حر سعيد ينعم في ظله ابناءه بالحرية ويستشعر الجميع أنه يقف على مسافة واحدة من الحقوق والحريات ، فلا لوم على الوطن في زمن الأزمة والقهر لكن اللوم كله يقع عليه وعلى القائم على أمره إذا فرق بين ابنائه في زمن الديمقراطية والرخاء .

علي الشكري

بغداد

سايكس بيكو القرن الحادي والعشرين

قد يعتقد الكثيرون إن إعصار الدمار الذي ضرب دول الشرق الأوسط ولا سيما دولاً معينة وعلى رأسها سوريا والعراق قد يستثني احداً إنما هي خارطة معدة سلفا للمنطقة ككل، لكن حسب مراحل وتوقيتات زمنية وان طالت لكن المحصلة النهائية للمخطط تدمير بلدان المنطقة. لكي نثبت هذه الحقيقة من خلال عدة أمور نجد من خلال مقدمات تنفيذ مخطط خارطة الطريق عدة مراحل أولها بعد إعلان بوش الابن عن خارطة الطريق من اجل بدء عملية السلام وقيام دولتين متجاورتين إسرائيل و فلسطين ومفهوم الشرق الأوسط الجديد ضمن الإستراتيجية الأمريكية بان هناك ستكون متغيرات جذرية وجوهرية وشاملة في المنطقة لتكون إحداث 11 أيلول الشرارة الأولى وغطاء مبطناً بسياسة مدمرة للشعوب نحو تحقيق أهداف وغايات بعيد المدى لها وتعطي مبرراً شرعياً لزيادة الانتشار العسكري الأمريكي والتدخل بشؤون البلدان الضعيفة وتكون تهمة الإرهاب أو دعمه تلفق لأي دول ضمن الخارطة ويحكم عليها بإعدام دون محاكمة عادلة أو تفرض غرامات وتدفعها حتى لو تجاوزت المليارات والأمن القومي الأمريكي أصبح في خطره ما كان في السابق لتكون دماء الشعوب وأطفالهم تقتل تحت الأنقاض وتدمير مدنهم وتراثهم وتهجيرهم لكي يتحقق المطلب فكانت الضحية الأولى لهذا النهج أفغانستان والتي تعاني الأمرين حتى يومنا هذا ولتكون حصة الأسد من نصيبنا ولسنا بحاجة للحديث عن أحوالنا المزرية التي لا تسر ولا تفرح ليكون الربيع العربي الشرارة الثانية في خارطة الطريق ليتساقط حكام العرب بين ليلة وضحاها بين هارب وقتيل وسجين ليكون مفهوم التغيير والإصلاح غاية ومطلب كل الشعوب بشكل لافت للنظر في حين كان في الماضي على نحو محدد لكن اليوم أصبحت كل الشعوب ارضاً خصبة متهيئة للتغير تنتظر شرارة لتنفجر ضد حكومتها الذي أصبها الوهن وفي حالة يرثى لها لان تجارب الآخرين من نظرائهم انعكست سلبا عليهم وهم مستعدون للفعل إي شي وتقديم كل التنازلات للمحافظة على سلطانهم المتهالك الواقف على حافة هاوية السقوط وحقوق الأقليات والحريات المعدومة في صدارة الأوراق التي تحركها جهات تضرب عدة عصافير بحجر واحد من خلال هذا الأمر ليبرز لدينا مفهوم اتسع بشكل كبير جدا وأصبح وجودها يهدد امن الدول واستقرارها وبدء عملها يضرب بقوة وبتنظيم عالي وإمكانيات هائلة أنها الجماعات المسلحة منتشرة بكل دول وخصوصا دول التي يشملها المخطط حيث نشاطها في مد وجزر وحسب حاجة المرحلة وبدليل لم تستطع إي دول من إنهاء وجودها لان المؤسس والدعم لها يستفد منها في عدة موارد ولعل بلدنا العراق خير مصدق على ذلك وما أكثر التحشيد العسكري من حيث العدة والعدد في الصراع السورية بإحداث الأسلحة وبناء قواعد عسكري في عدة دول قد تكون الأكثر ولم يشهد لها مثيل حتى خلال القرن العشرين وخلاصة حديثنا إن تكون هذا الحقائق والشواهد كلها مبررات وأوراق رابحه تستخدمها أمريكا وحلفاءه والمستفيد الأولى في ضرب إي دول حسب مخططها وإضعافها وادخلها في دوامة من العنف والدمار من اتهمها بإرهاب أو دعمه أو خروج تظاهرات المطالبة بإجراء التغيير والإصلاح أو تحريك جماعات مسلحة وان لم تكون فوجودها العسكري وصواريخها تكون كافية لها في تنفيذ اهدافها وان كل الظروف تساعد على ذلك الأمر وخط سير خارطة الطريق سائر دون توقف وما يجري في لبنان امر طبيعي في ظل متغيرات الوضع للمنطقة ،ولم يستثن احداً ودول أخرى تنتظر مصيرها المجهول من خارطة الطريق وهذا ما تكشف عنه الأيام القادمة لان المخطط اكبر من يكون ضد دولة أو دولتين.

ماهر ضياء محيي الدين

بغداد

استطلاع

مدينة طرابلس من قندهار لبنان إلى عروس الثورة

□ طرابلس (لبنان) ، (أ ف ب) – منذ أيام، يتحول ليل طرابلس في شمال لبنان التي وُصفت يوماً بـ"قندهار لبنان، إلى مسرح كبير يصدح بالأغاني وحلقات الرقص وأناشيد حماسية، ليكسر آلاف الشبان والشابات الصورة النمطية لمدينة محافظة ارتبط اسمها بالحروب والتطرف والفقر.

ويتدفّق الآلاف من مختلف مناطق الشمال يومياً منذ ليل الجمعة إلى ساحة عبد الحميد كرامي المعروفة بساحة النور في المدينة الساحلية تنديداً بالظروف المعيشية الصعبة والبطالة والفساد، كما هي الحال في بقية المناطق. لكن التظاهرات فيها سرعان ما اتخذت طابعاً احتفالياً استثنائياً.

وتتحول التظاهرات حفلة راقصة في الهواء الطلق حول مجسم كبير مضاء لكلمة "الله"، يعكس طابع المدينة ذات الغالبية السنية المحافظة. ويرفع المعتصمون هواتفهم الخلوية مضاءة كالشموع، ويتمايلون على إيقاع موسيقى وأغان صاخبة تتنوع بين الوطنية وتلك الحماسية الرائجة في صفوف الشباب.

وباتت المدينة محط أنظار اللبنانيين ووجهة وسائل اعلام محلية تفرد هواءها للبث المباشر، بعدما كانت تتسابق قبل سنوات على مواكبة جولات اقتتال دامية شهدتها وتصوير أطفال يحملون الأسلحة أو تقصي أخبار اسلاميين متشددين في المدينة.

وتقول الطالبة الجامعية أمل (22 عاماً)، "دفعت طرابلس ثمناً باهظاً جراء النظام السياسي القائم في البلد، وحملت وصمة الإرهاب وكان الجميع يخاف من الدخول إلى المدينة باعتبارها متشددة وإسلامية".

وتوضح أن مدينتها "عكس ذلك تماما (...) وجاءت هذه المناسبة المطلبية لنعبّر فيها عن مطالبنا بإسقاط السلطة"، مؤكدة إنها "فخورة" لأنها "جزء من تحرك عكس الطابع الحضاري لطرابلس".

وشهدت المدينة نزاعات عدّة على مدى عقود، والتحق مئات من أبنائها بالمقاتلين ضد النظام في سوريا المجاورة بعد اندلاع النزاع عام 2011. ولاحقت السلطات اللبنانية مجموعات إسلامية متشددة، وأوقفتهم بتهم التخطيط والمشاركة في عمليات إرهابية واعتداءات في لبنان، أو التوجه إلى سوريا للالتحاق في صفوف التنظيمات الإسلامية.

وشهدت المدينة في الفترة الممتدة بين العامين 2007 و2014 عشرين جولة اقتتال على الأقل بين سكان جبل محسن ذي الغالبية العلوية وسكان التبانة ذي الغالبية السنية، زاد النزاع السوري من طابعها الطائفي. وتوقفت مع فرض الدولة خطّتها الأمنية في عام 2014.

كما تعرضت لتفجيرات استهدف أبرزها مسجدين في المدينة صيف قتيلاً وعشرات 45ما أوقع 2013 الجرحى. كما تتعرض مراكز الجيش فيها بين الحين والآخر لاطلاق قذائف واعتداءات.

اهمال شديد

تعد مدينة طرابلس عاصمة شمال لبنان لكنها تعاني من إهمال شديد لمرافقها ويعيش 57 في المئة من سكانها عند خط الفقر أو دونه، بينما يعاني 26 في المئة من فقر مدقع، وفق دراسة للأمم المتحدة عام 2015.

وفي الأيام الأولى للحراك الشعبي، مزّق المتظاهرون صوراً للزعماء تنتشر في الأحياء الفقيرة وعلى المحال والأعمدة الكهربائية، من دون أن يستثنوا أحداً، وفي مقدمهم رئيس الحكومة سعد الحريري الذي كان يحظى بشعبية كبيرة، بالإضافة إلى زعماء سنة محليين بينهم رجال أعمال يعدون من أبرز أثرياء لبنان.

وبعدما انتشرت مقاطع فيديو مصورة في المدينة على مواقع التواصل الاجتماعي وعبر الإعلام، انضم متظاهرون من مختلف المناطق المجاورة إلى التحرك. وعبر مكبرات الصوت، يوجه المتظاهرون تحية إلى منطقتي زغرتا وبشري ذات الغالبية المسيحية والضاحية الجنوبية ذات الغالبية الشيعية ومناطق أخرى.

ويصف محمود شواك (50عاماً) الذي يرئس جمعية محلية تساهم في تنظيم التظاهرات ما تشهده المدينة بأنه "عرس بكل ما للكلمة من معنى".

واختار أحد المتظاهرين أن يطلق على المدينة لقب "عروس الثورة".

ومن اليوم الأول، بادر مهدي كريمة (29 عاماً)، منسق موسيقى في المدينة، إلى تسلق سطح بناء مطل على الساحة مع عدد من أصدقائه وأجهزته الموسيقية، ليبدأ تنسيق موسيقى وأغان شكلت نقطة جذبٍ كبيرة للمتظاهرين.

ويقول كريمة، الذي لم يتخيل يوماً أن مبادرته الفردية ستتحول عدوى تجتاح مناطق أخرى، لوكالة فرانس برس "قمتُ بهذه المبادرة بشكل فردي مع عدد من أصدقائي، وقد ساهمت بإعطاء طابع حضاري لتظاهرة طرابلس، وقد باتت حديث جميع اللبنانيين".

أثرياء وحرمان

تطوعت مؤسسات محلية وأفراد لتوزيع حلويات تشتهر بها المدينة على المتظاهرين أو وجبات طعام وعبوات مياه وعصير الليمون، بينما يجد فقراء المدينة الذين يبيعون الفول المسلوق وعرانيس الذرة في هذه التجمعات مصدر رزق لهم.

وعلى غرار بقية المناطق اللبنانية، يتخذ الحراك المطلبي طابعاً اقتصادياً بالدرجة الأولى في المدينة التي تعاني من إهمال الدولة لها، ما أدى إلى عدم تشغيل مرافقها الحيوية والاقتصادية وحولها مدينة معزولة.

وتضم المدينة مرفأ ذا موقع استراتيجي بين لبنان وسوريا، بقي مهملاً لأكثر من نصف قرن، بالإضافة إلى تحفة معمارية من تصميم البرازيلي أوسكار نيماير أشهر معماريي العالم في القرن العشرين، لكنها مهدّدة بالانهيار في حال لم يصار لترميمها.

وبينما تضمّ طرابلس أثرياء من سياسيين ورجال أعمال، تنقسم المدينة عمودياً بين أحياء فقيرة تعاني من الحرمان وضواح غنية.

وتقول وفاء خوري (48 عاماً) وهي ناشطة اجتماعية "تريد طبقة حاكمة لديها كرامة مثلنا، وتريد دولة مدنية، وفصل السلطات، وفصل الدين عن السلطة".

وتراجعت خلال الانتخابات النيابية الأخيرة عام 2018 شعبية تيار المستقبل الذي يتزعمه الحريري، الذي لطالما وعد أهالي المدينة الذين يشكلون حاضنة شعبية له بالانماء وتحسين شأن المدينة.

ويقول الطبيب والناشط الاجتماعي نافذ مقدّم (60 عاماً) "تثور طرابلس، تثور لأنها مظلومة ومقهورة".

اعتصام: متظاهرون في مدينة طرابلس في شمال لبنان يهتفون خلال اعتصامهم ليلاً في ساحة النور